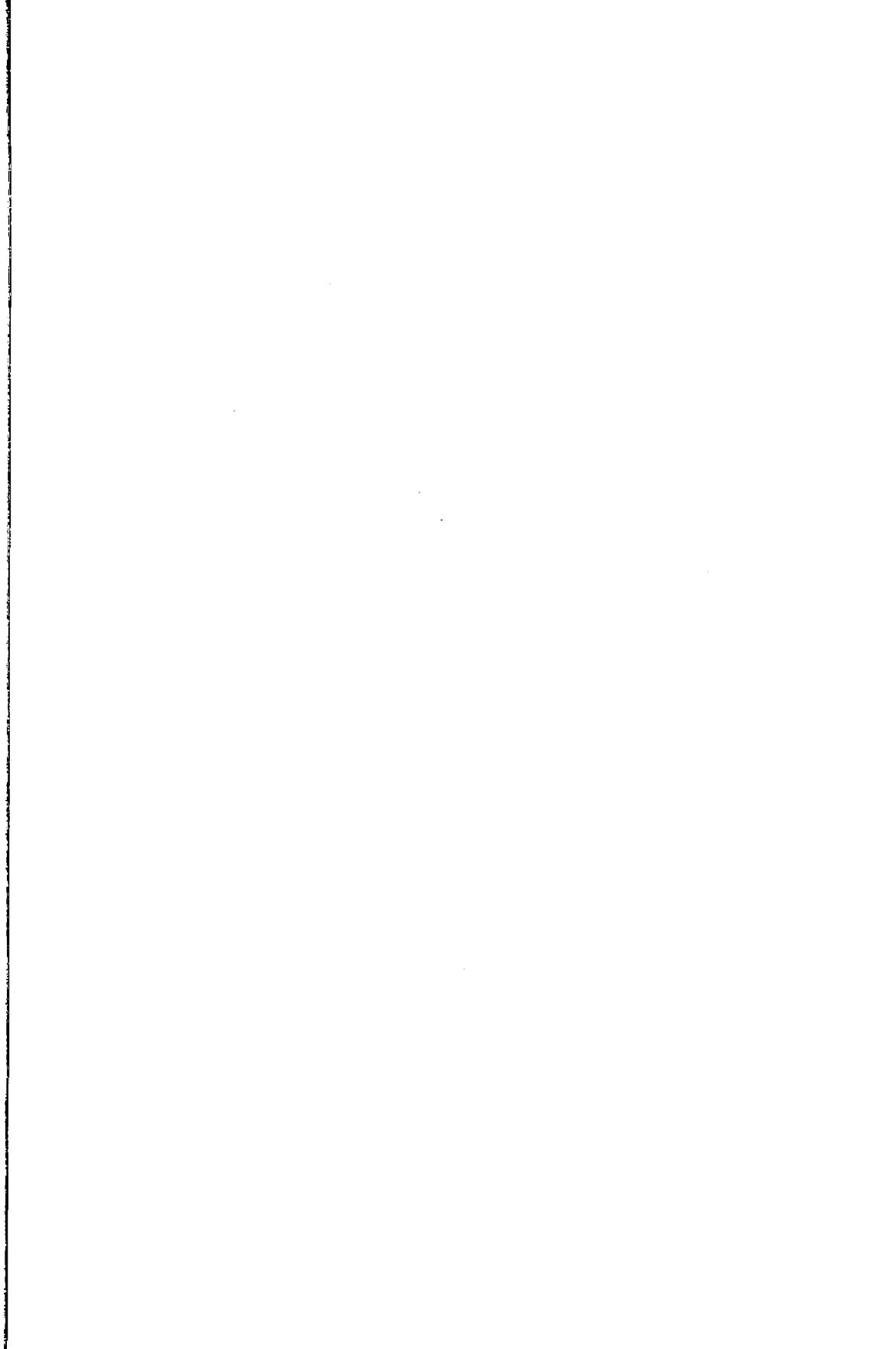


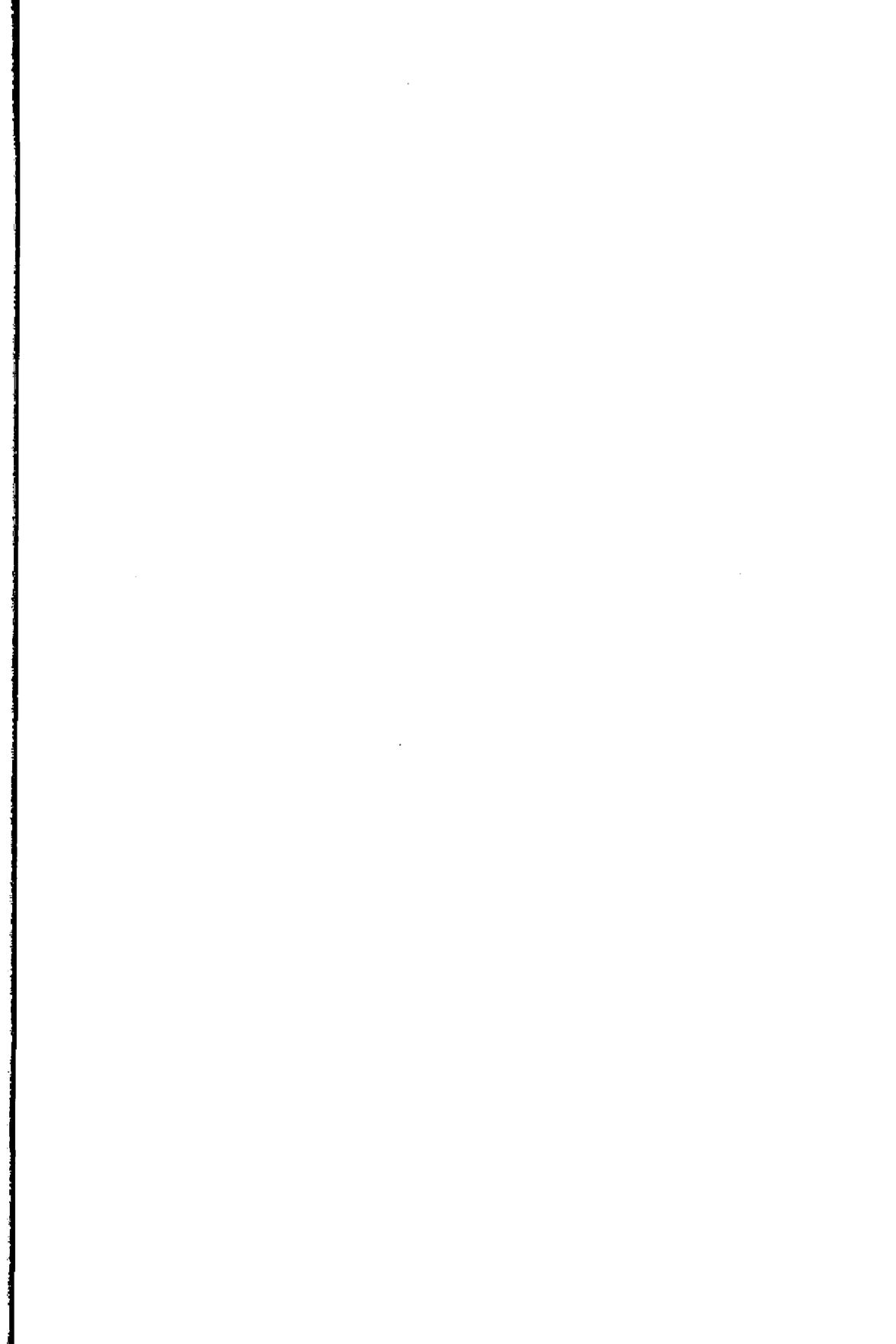
الفصل الثاني

العبادات والمعاملات



الفصل الأول

مدخل تاريخي
في العبادات والمعاملات
لدى شعوب المنطقة



لاشك أن كافة شعوب الشرق القديم عرفت العبادات منذ بداية عهدها بالثبات في أمكنة محدودة . وكذلك أوجدت لنفسها قوانين تحدد المعاملات بين الناس وتنظم شؤون حياتهم بكافة أشكالها .

وقد ارتبط صنع القوانين الدينية والحياتية بعدة عوامل ، كالعامل المناخي والجغرافي والعامل النفسي والاجتماعي ، فكانت عبادات الشعوب الزراعية والمدنية أرقى طورا من عبادات الشعوب البدوية المتنقلة .

وقد عرفت المنطقة عدة بطون من الشعب العربي كالكنعانيين والبابليين والمصريين وعرب اليمن والحجاز ، وكذلك عرفت المنطقة دخول عدد من الشعوب غير العربية إلى أرض الوطن العربي حاملة معها عباداتها وطقوسها ، وكذلك قوانينها وتفكيرها ، وحين نحاول إلقاء الضوء على عبادات ومعاملات تلك الأقوام نضع في حسابنا أن التوراتيين قد تأثروا كثيرا بعبادات الأقوام الذين احتكوا بهم . حتى أن بعض الفترات الزمنية شهدت استناداً كلياً من قبل التوراتيين على غيرهم في العبادات والطقوس والمعاملات والقوانين .

وحين نستعرض بعض تلك العبادات والمعاملات لا بد لنا أن نضع في الميزان المقارن عملية التأثر الكبيرة من قبل أتباع التوراة ومن سموا باليهود فيما بعد ، حتى ندرك أخيراً أن مئات السنين مرت قبل أن يستقر هؤلاء اليهود على عبادات معينة ، وقوانين ضابطة لحياتهم وارتباطاتهم بالشعوب والأرض والسماء .

لا شك أن أكثر احتكاك تم بين بني إسرائيل وغيرهم ، هو الاحتكاك بينهم وبين المصريين القدماء فحسب النص التوراتي وجد بنو إسرائيل في مصر منذ يوسف عليه السلام وحتى ظهور موسى عليه السلام والخروج . وهذه الفترة الزمنية الفاصلة بين العهدين تقدر بأربعمئة سنة على أقل تقدير .

وقد عرف من خلال ما كتب على ألواح تل العمارنة وأوراق البردي ، أن الديانات المصرية تطورت كثيراً من عصر إلى عصر ، وأوجدت لأتباعها كثيراً من

أنواع العبادات والمعاملات . وصنع المصريون القدامى المعابد الضخمة والمقابر وأوجدوا التحنيط إيماناً منهم بعودة الميت إلى حياة أخرى . ووجد لهذه المعابد كهنة ورجال دين ورافق العبادات طقوس كثيرة قد تتعقد في بعض الأحيان . وقد تكون بسيطة في أحيان أخرى .

والمصريون القدامى بشكل عام لهم عبادتهم وطقوسهم اليومية . وقد أشارت بعض نسخ الكتب المقدسة المصرية إلى أن العبادات اليومية تبدأ بتطهير الكاهن في البحيرة المقدسة القائمة بجوار المعبد . وعندما يدخل الإنسان المعبد يوقد ناراً ويُعدُّ مبخرة مزودة بالفحم والبخور ثم يتجه نحو تمثال الإله في المحراب الداخلي . ويقوم الفرد بصلوات محددة فيها سجود وركوع وتقديم قرابين واجبة . ويقوم المتعبد بخلع ثياب تمثال الإله ويطهره ويزينه بشباب وشارات مناسبة ، ويعقب ذلك إقامة مأدبة مقدسة قبل أن يوضع التمثال مرة أخرى في هيكله .

وترتبط بهذه القرابين فكرتان إذ ينظر إليهما كهديا سارة تتحد مع عين حوريس أي عين الشمس وفي أوقات أخرى تتحد مع أعداء حوريس وأوزوريس إذا كانت الضحايا مما يذبح .

وترافق طقوس دينية الأعياد المصرية ، وخاصة فيما يسمى أعياد فرعون أو أعياد الآلهة . ففي عيد الملك اليوبيلي المسمى (سد) يعاد الاحتفال الطقسي الذي تم فيه توحيد الوجهين في مصر على يد الملك مينا . ويصل الاحتفال ذروته برقصة يؤديها الملك وهو يرتدي تنورة قصيرة يعلق عليها ذيل حيوان من الخلف . وقد كانت المسيرة أو الموكب أو ظهور الإله مظهراً ملفتاً للنظر في الاحتفال بأعياد الآلهة إذ يحمل فيه الكاهن تماثيل الآلهة إلى أماكن أخرى مقدسة كما تزور آلهة أخرى ، أو تقوم بأداء دور في قصة أسطورية ترتبط بهذه الأماكن .

ومن الأعياد التي يحتفل بها المصريون القدامى ، عيد الإله آمون إله مدينة طيبة وتقوم طقوس هذا العيد على زيارة يقوم بها الإله آمون مع زوجته وابنه من

معبد الكرنك إلى الأقصر. ويشاركهما الرحلة جمع غفير من المصريين. وهناك عيد آخر للإله آمون يسمى عيد الوادي الذي يعني عبور نهر النيل لزيارة معابد الموتى من الفراعنة في الضفة الغربية لنهر النيل. ويبدأ الاحتفال بتقدمة يرفعها الملك أمام قارب آمون أي أمام محرابه المحمول قبل أن يغادر هذا المحراب معبد الكرنك. ثم يخرج الموكب من صرح المعبد والكهنة يحملون القوارب فوق أكتافهم⁽¹⁾.

وقد اهتم المصريون القدامى بطقوس الجنائز واهتموا كثيراً بالاحتفال بدفن الموتى، فالميت يدفن ولا تحرق جثته أبداً. ومن الطقوس أن يُفتح فم الميت. وتشتمل هذه الطقوس على ممارسات التطهر والقربان. ولكن أهم الطقوس هو لمس الفم بقدوم صغير لاعتقادهم أن هذا العمل يؤدي إلى تجديد الحياة لجميع قدرات الجسد، أما التحنيط فقد اهتم به المصريون دون غيرهم. فكانوا ينظفون الجثة من الأمعاء والمخ ويزيلون الأعضاء التناسلية إذا كان المتوفى ذكراً. ويبقون القلب دون سائر الأحشاء لاعتقادهم أن القلب أداة الفهم الروحي.

وتعتبر العقائد الجنائزية المصرية خليطاً من الأفكار والخيالات. وقد كان الميت يزود بتعاويد وفصول تكتب على أوراق البردي من كتاب الموتى. وقد كثرت التماثيل واختلقت أصنافها. وزاد عدد التماثيل الجنائزية حتى كان يودع منها مع الميت مئات في بعض الأحيان⁽²⁾.

ونرى أن الكهنة لكثرتهم في المعابد المصرية كانوا يشكلون طبقة مؤثرة على مسيرة العقائد والطقوس الدينية. وقد كانوا يسمون خدام الآلهة. وقد عرفت بعض النساء الكاهنات، ففي طيبة كانت الكاهنة الرئيسية لآمون تحمل لقب زوجة الإله. وكانت مهمة الكاهنة العزف الموسيقي ويُنظر إليهن على أنهن حريم الإله.

وقد اهتم المصريون بطقوس السحر وخاصة السحر المرتبط بالموتى وقد

(1) جفري بارندر المعتقدات الدينية لدى الشعوب عالم المعرفة الكويتية العدد 173 - 1993.

(2) سليمان مظهر. قصة الديانات ص 38 ط 1. 1984 دار الوطن العربي بيروت.

ذهب بعض الدارسين إلى القول بأن ذلك كله لم يتجاوز حدود السحر البدائي .
وقد أوضحت آيات القرآن الكريم عند الحديث عن النبي موسى عليه
السلام وصراعه مع فرعون أن فرعون اعتمد السحرة في صراعه وجلبهم من كل
أنحاء الإمبراطورية المصرية .

أما بالنسبة للأمم فقد رأى بعض الدارسين أن أثبت العبادات وأعمها
وأقواها إلى آخر العصور فهي عبادة الموتى والأسلاف . فإن عناية المصري بتشييد
القبور وتحنيط الجثث وإحياء الذكريات لا تفوقها عناية شعب من الشعوب⁽¹⁾ .

وأكثر ما عرف من صلوات أخناتون تلك التي تعرّف بصفات الله الذي دعا
إلى عبادته . وقد قام العالمان (هنري برستيد) و (آرثر ويجال) بمقارنة بين صلوات
أخناتون وأحد المزامير التوراتية فاتفقت المعاني بينهما اتفاقا لا ينسب إلى توارد
الخواطر والمصادفات .

ومن أمثلتها قول أخناتون (إذا ما هبطت في أفق المغرب أظلمت الأرض
كأنها ماتت . . فتخرج الأسود من عرائنها والثعابين من جحورها)
ويقابلة المزمور الرابع بعد المائة وفيه (إنك تجعل ظلمة فيصير ليل يدب فيه
حيوان الوعر وتزمر الأشبال لتخطف ولتلمس من الله طعامها) .

ويتابع المزمور قوله (تشرق الشمس فتجتمع وفي مآدبها تريض والإنسان
يخرج إلى عمله والى شغله في المساء . ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة
صنعت . والأرض ملائنة من غناك وهذا البحر الكبير الواسع الأطراف) .

ويقابل ذلك في صلوات أخناتون (ما أكثر خلائتك التي نجهلها أنت الإله
الأحد لا إله غيره . خلقت الأرض بمشيئتك . وتفردت فعمرت الكون بالإنسان
والحيوان الكبار والصغار) .

(1) عباس محمود العقاد . الله في عقائد الشعوب صفحة 69 .

وعرف المصريون المفاهيم الأخلاقية التي هي أشبه بالأعراف والقوانين المتفق عليها بين الناس . وقد تعلم المصريون الصبر وضبط النفس والحكمة والعدل والمثول للقضاء أمام رجال الدين ، وقد عبروا عن ذلك بالميزان بعد الموت الذي توضع فيه أعمال الإنسان من حسنات وسيئات .

وقد جاء في كتاب الموتى الكثير من التعاليم الأخلاقية ، فموضوع يوم الحساب حوى عدداً من إعلانات البراءة . مثل لم أسرق حصص الخبز ولم أتطفل على شؤون الآخرين ولم أضجع امرأة متزوجة (لم أزن) وكان ينبغي على كل ميت وهو يدخل مملكة الموت أن يعلن أنه طاهر مبرأ من كل إثم ، حتى يتمكن من أن يستقبله الإله العظيم سيد القضاء أوزوريس وهو أشبه بإعلان المتهم الآن أمام المحكمة أنه غير مذنب حتى يمكن محاكمته⁽¹⁾ .

وقد ابتدع الكهنة المصريون ما يسمى بالزيجات الخاصة . فقد ورد أن الفرعون كان يتزوج أخته . فالفرعون الإله أوزوريس تزوج من أخته إيزيس والفرعون ست - الإله تزوج من أخته نفتيت . وقد كانت الضرورة والمصلحة الذاتية تدفعان الكهنة والملوك الذين يدعون أنهم أبناء الإله للقيام بالزواج على هذا النمط وغاية هذه الزيجات أن يبقى لديهم منهج لضمان الملك وموالاته للكهنة وعدم خروجه على أصحابه .

وقد شاع هذا التقليد أي تقليد زواج الأخ من الأخت بين المصريين القدامى ولم يعد مقتصرًا على الملوك بل اتبعه كثير من عامة الشعب .

وكما لعب الكهنة دورهم في هذا التقليد فقد لعبوا دوراً خطراً آخر حين استخدموا كل شي كوسيلة لمنافعهم ولذاتهم . حتى نساء المعابد التي تقدم للآلهة في الظاهر كنّ في الحقيقة لمتعهم الخاصة بل وخيروهن بين مضاجعة التيس والعجل وبين مضاجعة الكاهن فقد (كانت النساء يقدمن أحياناً لهذه الآلهة زوجات لهن)

(1) د . امام عبد الفتاح امام . المعتقدات الدينية لدى الشعوب صفحة 58 .

وكان العجل وهو الذي يتقمص أوزوريس صاحب هذا الشرف العظيم بنوع خاص وقد عرف عن المصريين أن أجمل نساء مندس كن يقدمن لمضاجعة التيس المقدس وقد بقيت هذه الشعائر من بداية الأمر إلى نهايته عنصرا أساسيا قوميا في الديانة المصرية⁽¹⁾.

وقد انتشر تقديم القرابين في مصر القديمة . حتى أنهم في بعض السنين كانوا يقدمون للنيل أجمل فتاة من فتيات مصر قربانا حتى لا يفيض عن حده ويفرق البساتين ويهدم البيوت ويخرب المعابد . وظلت هذه العادة لديهم حتى دخول الإسلام إلى مصر .

أما الكنعانيون وهم الذين عرفوا الغزوة العبرية وعايشوها حربا وسلما فإنهم من أكثر الشعوب العربية القديمة التي عرفت العبادات والمعابد والمعاملات الدينية والحياة .

فالديانة الكنعانية ترتبط بأساطير وبطقوس ومعتقدات كثيرة كبقية أساطير تلك الشعوب التي عاشت فيما قبل الميلاد . وجميعها يدخل ضمن هذا التراكم النوعي والكمي لتلك الديانة . وتقديس الكنعاني للآلهة جعله يصنع لها المعابد والهيكل وقيم فيها الشعائر والطقوس .

وقد كثرت المعابد والهيكل حتى أن الكنعانيين أوجدوا في كل مدينة وقرية هيكل وتمثيل ترمز لأشكال آلهة كبيرة كانت أم صغيرة مهمة كانت أم ثانوية . وعادة ما تقام المعابد في الأماكن المرتفعة فلكل إله معبده . والآلهة إن كانت تمثل الذكور أو الإناث فهي جميعها أبناء الإلهة عشيبة .

ومن المعتقدات الكنعانية أن حرق المعبد يعتبر خطيئة كبيرة . وكانت معابد أولاد الإلهة عناة تقام في الساحات العامة من المدينة أو البلدة .

ويعتقد أن قصر الملك عبارة عن معبد تقام فيه الشعائر . فقد ورد في

(1) عمر لطفي النجار . العقل والإيحاء صفحة 36-37.

النصوص أن القصر الملكي كان يعج بالتماثيل التي ترمز للإله إيل والإلهة عناة وكذلك بقية الآلهة وجميعها داخل القصر.

إن ذلك سيذكر بما قالته التوراة عن هيكل سليمان وكيف كان يعج بالتماثيل التي تشير إلى بعض الآلهة التي ادعت التوراة أن الملك سليمان بناها إرضاء لنسائه اللواتي بلغن الألف امرأة.

ومن أهم معابد الكنعانيين معبد في بيسان وقد ورد أن الفلسطينيين عندما انتصروا على الغزاة العبرانيين وردّوهم على أعقابهم قتلوا ملكهم شاؤول وعلقوا رأسه في المعبد وذلك بسبب اعتدائه مع اليهود على أراضي العرب الكنعانيين. وكان معبد للإله بعل في عقرون شمال فلسطين.

أما عن بناء المعبد فقد ورد أنه كان يحاط بأعمدة كبيرة الحجم، وهي غالباً من الحجارة الكلسية. وقد بني معبد للإله بعل في وادي جبعون وأقيم فيه عدد من الطقوس ويعتقد أن مكانه اليوم (رأس السناه) ويرد أن الفلسطينيين كانوا يمارسون إقامة الأصنام والنصب في الغابات.

وقد ورد في نصوص أوغاريت أن معبداً أقيم للإله أيل بين نابلس والقدس لكنه كان يغص بالتماثيل والأصنام التي تمثل الآلهة المعاونة للإله الأكبر. كما عثر على معبد آخر للإله بعل في جبل الكرمل وبعض مناطق الساحل الشمالي لفلسطين إضافة للمعبد الكبير الذي أقيم للإله بعل في أوغاريت زمن الملك الكبير.

ويرى بعض العلماء أن هذه المعابد كانت تغص بالكهنة والنساء المقدّسات. ومن أهم الكهنة الذين ورد ذكرهم في لوحات أوغاريت الكاهن الأكبر إيلو ملكو وهو كاهن أوغاريت. وكان رئيس مقدمي القرابين والمطهرين. ومن الكهنة أيضاً ملكي صادق الذي أوردت التوراة عنه أنه التقى إبراهيم عليه السلام وباركه باسم الإله. أما الطقوس والعبادات لدى الكنعانيين فهي كثيرة وترتبط بالمعابد وبما يسمى المحرقات ويعتبر الخمر من أهم الأشياء التي تقدم في معابدهم ولعل صبه موصى به لأن السماء تلتذذ به حسب

عبادة الكنعانيين ويرتبط تقديمه بأسطورة تقول إن تقديمه ينهي حال الجفاف .

وتعتبر صلاة الكنعاني العنصر الأساسي في العبادة . ومن طقوسها التضرع والصراخ أمام الآلهة . ولا تقتصر تأدية الصلاة على الناس بل تشاركهم بقية الآلهة . ويعتقد الكنعانيون أن الحجارة والنباتات تؤديان الصلاة ، ويجب تكرار الصلاة حتى تكون مجدية . وتبدأ الصلاة بعرض الحالة الحاضرة ، ومن ثم يأتي تعداد الصفات الإلهية ، مع الإشارة إلى حالة المتضرع . وتتركز الدعوات على طلب إنهاء المصائب وعودة الازدهار والبعث من جديد . وتكون الصلاة خالية من أية دعوة ضد الآخرين إلا في حالة توجيهها للأبالسة⁽¹⁾ .

ولعل التطهير من أهم العادات الطقسية . ويتم بغسل اليدين والوجه . وهو مفروض على جميع الناس . وعادة ما يأتي التطهير بعد حدوث المعارك . ويقصدون به الاغتسال من جرمية سفك الدماء حتى ولو كان صاحبها من الأعداء . ويلحق التطهير الغرف والبيوت والأدوات .

وعند الصلاة يرفع المصلي عينيه إلى السماء وهو واقف . ثم يركع وأخيرا يرقم على الأرض وعند الصلاة للإله يجب على المصلي خلع ثيابه وتعليقها بجواره ولا بد للكنعاني من التعري بشكل كامل حتى تكون صلاته صحيحة .

ومن الطقوس عند الصلاة الجماعية في المعابد أنهم يحرقون البخور . ويقصد منه طرد الأبالسة . وهو طقس شعائري ظلت آثاره الإعتقادية إلى وقتنا الحاضر .

والى جانب البخور يقدم الكنعانيون الطعام والندور للآلهة .

ومن الطقوس المحببة للإله الكنعاني إتلاف أصنام الشعوب الأخرى . وكان الكنعانيون يقدمون القرابين من الخبز والطحين ويذبحون الحيوانات ويصبون الخمر فوق الأضرحة لا اعتقادهم أنها تسقي أمواتهم الذين هم في العالم الآخر أو العالم

(1) دليل ميدكو . اللآلي نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عنوس صفحة 36.

السفلي ومن المرجح أن دم الذبائح كان يصب في المقابر⁽¹⁾ والأضاحي والقرايين تقدم من الأغنام والثيران والأيتال والوعول والظباء وكانوا يصطادونها حية .

ويعتقد الكنعاني باستحضار روح الميت ، ويعتبر هذا الاستحضار جزءا من الديانة الكنعانية ، فكانوا يعملون على إيقاظ روح الميت . وقد انتشرت عبادة الأرض والأموات والآباء والأجداد لفترة زمنية طويلة بين أبناء الكنعانيين .

ومن المعتقدات الهامة عند الكنعانيين تلك المتعلقة بالدهان والمسح وبيرون أن لبعض الألوان التي يدهن بها الإنسان جسده قوة سحرية ويعتقدون أن الكلام قوة لا تنزعزع وهي بمثابة حكم قضائي حتى أن الإله أيل إذا ما نطق بخبر شيء فلا بالمستطاع محوه إلا بموجب عملية التطهير .

أما بالنسبة للمعاملات فهي عند الكنعانيين كثيرة ومتنوعة . فالشعب الكنعاني يؤمن بالعدالة الإنسانية مثل العدالة الإلهية وهي سريعة التطبيق فالقاتل يظلم يقتل بالرجم كما ترجم الجواميس . وبالضرب على الجبهة كما تضرب الجراذين أو كما تسحق تحت الأرجل .

ومن حيث الرمز فإن سلوك الناس تجاه الخطايا والرذائل كتصرفهم بالنسبة للآثام ، فالمطلوب أن يرمزوا إلى ذلك بطردها بحد السيف وإحراقها بالنار وسحقها في الرحى . ودفنها في الحقول وذرها في البحر ويتراءى لنا هنا أننا أمام طقس ديني كان يقام فعلا فرمما كانوا يكتبون على لوحة خطايا الإنسان التي سجلت عليه ومن ثم تطبق على اللوحة ما ذكر أعلاه .

ويمكن أن يكون اليهود ورثوا هذه العادة مكتفين باصطياد تيس من الصحراء يحمل كل خطايا الشعب⁽²⁾ .

أما نظرة الكنعاني لغيره من بني الإنسان فتتميز بالتسامح واحترام الحق ،

(1) المرجع السابق صفحة 129 .

(2) ويل ميدكو . الآليء نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عنونق ص 181 - 182 .

والتواضع والنبيل . فعند الكنعاني (إن عدم التسامح لا يقود إلا للخراب) وإن العطف يصلح من هو في الضلال . فالمجتمع الكنعاني مجتمع متسامح مسالم . فهو يرى أن الأحق يزداد حماقة إذا ما اشتد الضغط عليه . فهذه النظرة نابعة من الوجود الإنساني المتطور .

وعُرف الكنعانيون بأنهم يحترمون قول الحق ويرفضون عدم الوضوح حتى لا يقع الإنسان في التشويش والضلال . إنهم يرفضون تجزئة الحقيقة .

والتواضع من صفات الكنعاني ، فالإله أيل الذي يتصوره الكنعانيون يعاقب من يتباهى بثروته . وإيل نفسه لا يستجيب لذي حاجة إلا إذا تخلى عن خيالاته وبالتواضع يتجلى إيمان الإنسان بالآلهة ، ويشجب الكنعاني تكديس الذهب والفضة معتقداً بأن التعلق بالذهب يزيد من أطماع العدو⁽¹⁾ .

ويحترم الكنعانيون المرأة لأنهم يعتبرونها كالألهة فهي جميلة وعاملة . ويرى الكنعاني أنه يجب عدم الاقتراب من المرأة بأفكار سيئة . ومن المناسب كبح جماح العواطف ورفع اليد عن زوجة الآخر . ويجب الظهور بمظهر العفة إزاء النساء لأن الزوجة حسب الديانة الوثنية الكنعانية هي أشبه ما تكون بزوجة الإله وهي الشاهد على أسرار المقدسة وبيت المرأة مقدس كالمعبد . إنه مكان الأسرار المقدسة فهو شبيه ببيت الإله . والحكمة على أفواه النساء ، فيجب أن نبتهل إلى الله أن يحمي فم المرأة الذي تتدفق منه التعابير الحكيمة المؤدية إلى الرخاء .

ويرى الكنعاني أنه يجب الامتناع عن مشاجرة المرأة الحامل . إن مثل ذلك خليق بمن يحكم عليه بنهاية العز وبالم الآلام . ويجب الانتظار وبصبر ساعة الخلاص وإفهام الرجل العنيف المتباهي بجرأته أن الآلهة وحدها هي التي تهيء النضج للطفل وهو جنين .

الصلوات للآلهة تتلى من الصدور وليس من الشفاه وبذلك تتخلى الآلهة عن

(1) دبل ميدكو . الآليء نصوص من الكنعانية ترجمة مفيد عرنوق ص 185 .

بعض الحكمة لتقدمها للزوجة . تلك الآلهة الرحيمة التي تحدد يوم الولادة . وإن من لا يصلي إلا من فمه دون إيمان حقيقي تكون السموات مغلقة في وجهه وعلينا أن نتهيب ساعة الولادة ، وعلى الذين أُرعبوا المرأة أن يهربوا وأن المرأة التي تعذب أثناء الحمل يمكن أن تلد قبل الأوان في الشهر السابع أو تتأخر ساعة الخلاص .

ويرى الكنعاني أنه يجب العطف على العاقر لأنها دون إرادتها لم تنجب أولادا والشعب الذي لا يتكاثر هو شعب فارغ أشبه ما يكون بالرجل المطرود خارج البيت . وعلى العكس من ذلك يجب فتح الأبواب أمام من ينجب .

أما بالنسبة للخمر فيرى الكنعانيون أن الخمر الذي يحتسيه الرجل مساءً شبيه بالنار إنه يُسكر ويضعف ولذلك يجب الإقلال من شرب الخمر .

وقد ورد في نصوص أوغاريت أن الإله أيل كبير الآلهة الوثنية الكنعانية يحفظ الناس من الشقاء بواسطة الدهان . ويمكننا أن نجد هذا التعبير في كثير من نصوص التوراة .

أما القرابين فمعروف لدى الكنعانيين أنهم يقدمون القرابين من الخبز والطحين إلى الأصنام في الغابات . كما يذبحون الحيوانات ويصبون الخمر فوق الأضرحة ليشربها الأموات في العالم الآخر . والحيوانات التي تذبح هي الخراف والثيران والأبائل والوعول والظباء التي يصطادونها حية⁽¹⁾ .

أما حضارة بلاد ما بين النهرين فقد امتدت عبر آلاف السنين قبل ميلاد المسيح وتعاقبت عليها دول وإمبراطوريات . وشهدت وعياً واضحاً بالقوى الروحية والعبادات .

وفي منتصف الألف الأخيرة ق . م سبي اليهود إلى بابل مرتين ومكثوا في ضفاف الفرات حوالي سبعين عاماً كانت كفيلاً بأن تؤثر في كثير من عباداتهم وعاداتهم ومعاملتهم .

(1) اللآلي نصوص من الكنعانيين سبق ذكره صفحة 110 .

عرف أهل الرافدين المعابد والهياكل وأماكن التضحية وتقديم القرابين
والتماثيل الرمزية الصغيرة وتماثيل الآلهة وعادات الدفن

فالإله البابلي الأكبر يدعى مردوخ ويرجع صعود نجمه من ناحية إلى
مدرسة دينية ألقت التراتيل والصلوات لتمجيده ثم أضافت الفصل الثاني عشر
والأخير إلى ملحمة الخلق الكلاسيكية لكي تجمع له النعوت والألقاب التي
يوصف بها الآلهة .

وقد عرفت المعابد لدى بلاد الرافدين بشكل واسع ، حيث وجد في كل
مدينة أو قرية معبد . فالإلهة الوثنية عشتار وجد معبدها في مدينة نينوى . وقد وُجد
في بابل وحدها مائة وثمانون معبداً منتشرة على الطرقات في الهواء الطلق حيث
كان من الممكن التوجه إليها بالصلاة أو تقديم النذور .

ولكل إله من الآلهة الكبرى صفات خاصة يتهمل له عبادة له أثناء
الصلاة . وقد عرف البابليون الطهارة فالملك يجب أن يكون طاهراً حتى يستطيع أن
يحكم وقد صلى الشعب البابلي للملك على الرغم من أن الملك لا يعتبر نفسه
إلهاً . وفي عبادة الآلهة كان البابليون يصلون بتسبيحة نمطية للشكر . كما أن هناك
تراتيل موجهة للمعابد والمدن المقدسة . ويمكن للناس أن يتجهوا إلى الآلهة
الشفيع (لاما) التي تأخذ بيد المتعبد إلى حضرة الإله .

وهناك صلاة وجدت مكتوبة على أحد الرقم تقول : (اعبد إلهك كل يوم ،
وقدم له القرابين والصلوات ، التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور ، قدم
قربانك طائعاً لإلهك . لأن ذلك يتناسب مع الآلهة ، قدم له الصلاة والضراعة
والسجود كل يوم ، وسوف تثاب على ما تفعل . عندئذ سيكون بينك وبين الله
اتصال كامل ، إن التبجيل يولد الخطوة ، والقربان يطيل الحياة ، والصلاة تكفر عن
الذنب)⁽¹⁾ . ويستطيع المتعبد الثري بدلاً من القيام بنفسه بالصلاة والنواح أن يودع

(1) جفري بارندر . المعتقدات الدينية لدى الشعوب ترجمة إمام إمام صفحة 29 .

المعبد شيئاً مناسباً على سبيل الهدية كتمثال صغير . بعض الأواني النحاسية . وقد تكتب الصلوات كذلك على هيئة رسائل توجه بطريقة مناسبة ، وتكتب عادة في شيء من التفصيل عارضة الشكوى والالتماس أو الاحتجاج أو الصلاة . وإيماءات الصلاة بالإضافة إلى الركوع والسجود وتتم برفع اليدين معا إلى الأعلى أو وضع يد واحدة أمام القدم على أن تكون راحتها تجاه الوجه⁽¹⁾ .

ومن الطبيعي جدا أن العبادات في أي حضارة ثابتة ترتبط بالمعابد وقد أشرنا إلى الأعداد الهائلة منها في بابل وبلاد ما بين النهرين .

وتدل الحفريات أن المعابد في بلاد ما بين النهرين كانت تبنى على شكل مستطيل في حائطه كوة يوضع فيها تمثال صغير للإله ، أو شعار مقدس وأمامها منضدة للقرابن ويقوم البناء على نموذج أقدم طراز للهياكل من أعواد القصب . تم أصبح يُبنى من اللبن المشوي . ويرفع الصنم فيه فوق منبر أو قاعدة في محراب داخلي مظلم ويوضع أمامه المذبح أو المنضدة ، وتوجد مغسلة أو بئر ماء في الساحة الرئيسية للمعبد بعد مدخله الرئيسي . كما يضم المعبد أماكن جانبية للعبادة .

وكان الملوك يهتمون بتجديد المعابد وزخرفتها ، في كافة المدن والقرى البابلية . وقد عرفت العبادة البابلية طبقة الكهنة ، ويقومون عادة بتقديم القرابين وصب السكائب والتطهير والمسح بالزيت . ويعمل بعضهم بتلاوة التعاويذ والرقى والغناء والإنشاد والموسيقى . ويعمل كهنة التعاويذ والعرافون داخل المعبد وخارجه⁽²⁾ كما كان لبعض المعابد مجموعة من الكاهنات أو الراهبات يعشن في أديرة .

وفي الأعياد البابلية طقوس تعبدية معروفة بارتباطها بمواسم محددة من الأشهر أو السنة . وأهم هذه الأعياد عيد رأس السنة . حيث تبدأ الشعائر في بابل وقت الفجر من هذا العيد في اليوم الأول ، ثم يتبعها تقديم القرابين ثم صناعة التماثيل الصغيرة ثم

(1) جفري بارندر . المعتقدات الدينية لدى الشعوب صفحة 30 .

(2) المرجع السابق صفحة 32 .

يعقب ذلك في اليوم الرابع تلاوة ملحمة الخلق ، وصلوات خاصة لمردوخ وينهض الملك في اليوم التالي ليغتسل في مياه النهر الطاهرة قبل أن يدخل المعبد مرتدياً كساءً كثنائياً جميلاً ، وبعد الصلاة يفتح باب الكهنة ويشرف على تقديم قرابين الصباح وينخرط الملك في صلاة طويلة مظهراً براءته وحسن إدارته .

ويسجد الملك ويصلي ويقدم قربان المساء . وينتهي الاحتفال بالزواج بين مردوخ وزوجته صن بنيتو . مصحوباً بمهرجان شعبي كبير .

وفي الديانة البابلية أن الخطايا تغفر بتلاوة تراتيل التوبة والصلاة أو التفجع والنواح ويمكن التحرر من الخطايا بتقديم القرابين . ويبدو أن هذا الطقس عرفه العبريون وطبقوه في مسيرة حياتهم الدينية .

أما في المعاملات والقوانين الحياتية فقد اشتهرت في حضارة البابليين قوانين حمورابي التي اعتبرها بعض الباحثين أول قوانين تشريعية تناول حياة الناس وعلاقاتهم بالتفصيل وتنظم لهم شؤونهم بشكل مفصل ودقيق . وأهمية هذه القوانين تكمن في تشابهاها مع قوانين التوراة المدونة ، وتتقاطع مع وصايا البوذية في الهند .

وحين نقارن قوانين حمورابي بقوانين التوراة ، ندرك أن مدوني التوراة كانوا مطلعين على الشرائع المختلفة التي وضعها المصريون في مصر والسومريون والبابليون والآشوريون في العراق والحثيون في فلسطين ، وخاصة شريعة حمورابي التي اقتبسوا منها المواد المتشابهة بين الشريعتين . الشريعة البابلية والشريعة التوراتية .

ومثال ذلك قانون حكم العين بالعين والسن بالسن . وحكم تهريب الرقيق وسرقة الإنسان لبيعه . وتشريع انتهاك حرمة الأبوين وشريعة الزنا والاعتصاب . وكذلك شريعة السرقة والنهب . واتهام المرأة أوفتاة بالفحشاء بغير إثبات . والاتهام الكاذب والشهادة الكاذبة . والسحر وتعاطيه والديون وكيفية استيفائها . وتعاطي الربا . والتعويض عن الإضرار . وتعدد الزوجات وحينما ننظر إلى تعاليم البوذية نجدتها تتقاطع مع التشريعات التوراتية تقاطعا كبيرا . فالبوذية تقول يجب

ألا تقضي على حياة وتقابلها في التوراة لا تقتل وتقول البوذية يجب إلا تقول ما هو غير صحيح وتقابلها في التوراة لا تكذب وتقول البوذية يجب ألا تبشر علاقة جنسية محرمة وتقابلها لا تزن في التوراة وأمثلة كثيرة على تقابل الأحكام وتشابهها بين البوذية واليهودية .

بيد أن التأثير الأكبر جاء من خلال احتكاك التوراتيين بتشريعات حمورابي إذ كانت الصلة بينهم مباشرة، والاحتكاك يومياً . ونعود للقول إن فترة السبي التي دامت ما بين خمسين وسبعين عاماً كانت كافية للاستفادة من التراث البابلي ، لا سيما أن تدوين التوراة تم في تلك الفترة، إضافة لكتابة التلمود البابلي الذي يعتبر الأساس في تشريعات اليهودية منذ ذلك الوقت وحتى الآن .